البحرين وهو يخترق جنوبي فرنسا من الطرف الى الطرف ويصل البحر المتوسط بالمحيط الاتلنتيك وطولهُ ٢٤٠ كيلومتراً وعرضهُ عشرون متراً وكان الشروع فيهِ سنة ١٦٦٦ وتم سنة ١٦٨٤ . ثم الخليج المسمى بخليج برغونيا وهو يصل بين نهري السين والرون وطولهُ ٢٤٠ كيلومتراً . ثم خليج نيڤرناي وهو يصل بين السين واللوار وطولهُ ١٧٦ كيلومتراً . والخلجان في اوربا اكثر من ان تُحصَى حتى لا تخلو اليوم مملكةٌ عن شيءٍ منها فنقتصر منها على ما ذكرناهُ حب الاختصار

## القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

وقع لي ان اطلعت بالامس على العدد السادس عشر من مجلة المشرق الكاثوليكية لحضرات الآباء اليسوعيين فوجدت فيها انتقاداً على مقالتي التي ظهرت مؤخراً في مجلة الضيآء الوضآءة تحت عنوان القوى العاقلة في الحيوان . وقبل الشروع في الرد على ما اخذهُ عليَّ حضرة المنتقد الفاضل الاب لويس شيخو اليسوعي اراني مدفوعاً بالواجب الادبي الى أداء الشكر لفضل حضرات الآباء اليسوعيين في نشر المعارف ولوقوفهم بالمرصاد لانتقاد كل ما يشتمون فيهِ رائحة المباينة للمبادئ الموكول اليهم تعضيدها فيخدمون بذلك الامة والعلم خدمةً تذكر فتشكر اذ لا يخفى ما يترتب على الانتقاد والمناظرات الادبية في العلم من الفوائد الكثيرة التي تنجم عن البحث واحتكاك القرائح فضلاً عن استلفات الجمهور للمطالعة والاستفادة . وحبذا كل انتقاد

مصدرهُ الاخلاص في تمحيص الحقائق ومؤدّاهُ الضالة المنشودة لا الثلب والتشفي بالطعن والتقريع كما هي عادة السواد الاعظم من كتّابنا المنتقدين . وقد لمحت من خلال الرد الذي اثبتهُ حضرة المنتقد في العدد المذكور انهُ لا ينكر عليَّ فقط صحة ما اوردتهُ من الحقائق العلمية وما استنتجتهُ منها بل يرى في نشرها ما يوجب النكير على حضرة العلامة الفاضل صاحب مجلة الضيآء وهو امرٌ لم نكن نتوقعهُ من حضرة المنتقد لان في نشر مثل تلك الحقائق خدمة للعلم والدين معاً ولان النتيجة التي استعاذ من ذكرها وهي « ان المبدأ العقلي عامٌّ في جميع انواع الحيوان الخ » مستخرجة من مقدمات مثبتة بالادلة القاطعة المبنية على المشاهدة والاستقرآء لا الحدس والتخمين

ولعلمي بوجود كثيرين يتشوقون لمتابعتنا هذا البحث الجليل ولو مع التردد والوجل لتوهمهم انهُ مخالف لما يعتقدونهُ ارى من المفيد ازالة هذا الوهم بالادلة بحيث ندخل في البحث من وجهيهِ الديني والعلمي . ويكفينا في هذه العجالة ان نأتي على بعض نصوص الكتاب ونلمحها لمحة فائتٍ حتى اذا زاد حضرة المنتقد من الاعتراض علينا زدناهُ بياناً

يُعترَض علينا بما جآء في المزمور التاسع والاربعين وهو انسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي « لاعقل لها » كذا اشتهرت هذه العبارة لكن الذي في الترجمة الحديثة لمرسلي الاميركان البهائم التي « تُباد » وفي ترجمة الآباء اليسوعيين كان الانسان في كرامةٍ فلم يفهم فماثل البهائم وتشبه بها فلم يذكروا شيئاً من المعنى الاول ولا الثاني . وفي الترجمة الكلدانية البهائم الحرس اي التي لا تفوه بألفاظ مقطعية كالانسان وهذا مسلَّم فيما قدمناهُ في مقالتنا .

وهب ان الكتاب المقدس يصرح بعدم اعطآء العقل للبهائم فيكون من حيثية عدم اقتدارها على ادراك الكليات لا الجزئيات بوجه نسبيّ وذلك لا ينفي كون المبدإ العقلي فيها وفي الانسان واحداً . وقد جآء في الاصحاح الثالث من سفر التكوين ما نصُّهُ « وكانت الحيّة أحيل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة أحقًّا قال الله لا تاكلا من كل شجر الجنّة » الى آخر حديثها مع المرأة الاولى . فيتضح من هذا النص الإلهي جليًّا ان الحيّة لم تكن شيطاناً كما يفسرهُ البعض مجازفةً وتحكماً لتعزيز مذاهبهم بل بهيمةً من ضمن الحيوانات البرية التي عملها الله تعالى وانها كانت تفضل غيرها من الحيوانات بالتعقل وشدة الادراك مما تقتضيهِ الحيلة حتى تمكنت بدهآئها من اغرآء حوآء بالأكل من شجرة معرفة الخير والشر فاستوجب عملها هذا القآء التبعة عليها لما انهُ صار منها مباشرةً فلعنها الله وعاقبها بان مسخها مسخاً وقضى عليها بان تسعى على بطنها وتأكل التراب كل ايام حياتها. فيؤخذ من هذا ومن شواهد أُخرى أُوردها عند الاقتضآء للاسهاب ان المبدأ العقلي ثابت دينيًّا في العجماوات

اما بخصوص الوجه العلمي فانني قد سبقت فاوردت في مقالتي المشار اليها آنفاً امثلةً وشواهد عديدة تدل دلالةً صريحة على وجود التعقل في الحيوان والتدُّرج في الادراك الى حدٍّ يكفي للدلالة على كون المبدإ العقلي فيهِ وفي الانسان واحداً ولا يختلف عن تعقلنا الا في الكم والكيف ولو امكن حضرة المنتقد تعيين الحد الفاصل بين ما يدعوهُ القوة الوهمية او الغريزة او السليقة والعقل لأتيناهُ بشواهد تدل على ان العجماوات قد تتخطاهُ

الى الأعلى والحيوانات الناطقة قد تقصر عن ادراكهِ . اما وليس لدينا سوى المشاهدات فنحن مضطرّون بما فُطرنا عليهِ الى التسليم بان المسبَّبات المتشابهة انما تنتج عن اسباب متشابهة وبالعكس . فاذا رأينا تشابه ظواهر ادراك العجماوات بظواهر ادراكنا حكمنا بمماثلة الاسباب وقلنا بوحدة المبدأ العقلي . ومن المقرر ايضاً في المشاهدات ان الولد اذا رُبّيَ في معتزلٍ لا يسمع فيهِ لغةً الا ما يطرق سمعهُ من اصوات الحيوانات ولا يرى حولهُ ما يستفيد منهُ بالتقليد والتمثل الا حركات البهائم يشبُّ على همجيتهِ كالعجماوات يصوّت باصواتها ويقلد حركاتها فتتشابه ظواهر ادراكهِ بظواهر ادراكها وحينئذٍ لا يكون بينهُ وبين البهائم فرقٌ يذكر سوى كونهِ قد ورث عن والديهِ بعض الخصائص التي تؤهلهُ للارتقاء عن طريق الحواس بالتعلُّم والمشاهدة

بقي علينا ان نعترف بجهلنا الاسباب العديدة المتداخلة التي أخرت العجماوات عن مجاراة الانسان في مضمار التقدم ولكن هل يعاب علينا جهلنا اموراً هي فوق ادراكنا او يترتب على ذلك احجامنا عن التسليم بصحة ما يقع تحت ادراكنا والا فكيف يصح لنا الحكم بوحدة السليقة في الحلميات التي تعيش على نفقة غيرها مدة ثم تبيد بدون ادنى شيء يذكر في تاريخ حياتها سوى كونها وجدت ثم تلاشت وفي النمل الذي يأتي باعمال تحار عندها عقول الفلاسفة ولا يصح لنا نفس هذا الحكم في المبدإ العقلي في احطّ المتوحشين وأعلى القردة مع ان الفرق العقلي الكائن بين الفوجيين مثلاً وأرقى القردة اقل منهُ بين الحلميات والنمل بل اقل منهُ ايضاً بين احطّ الناس وأرقاهم

فسبحان من اوجد المبدأ العقلي في جميع خلائقهِ الحية وسنّ لهُ نواميس

يرتقي بموجبها كما ارتقى من فوجيّ لا يعرف ما يزيد على الاربعة من الاعداد الى نيوتن يقيس ابعاد الاجرام السماوية ويكشف عن نواميس الجاذبية

# مطارحات

امتحان غريب في الترجمة — نظم بعض شعرآء الانكليز المستر لايرد بيتين من الشعر ودفعهما الى صديق لهُ فنقلهما الى اللاتينية ثم ارسل الصورة اللاتينية الى صديق آخر فردّهما الى الانكليزية ثم تُرجما عن الصورة الانكليزية الثانية الى الفرنسوية ثم الى اليونانية فالانكليزية فالالمانية فالانكليزية فالفارسية واخيراً اعيدا الى الانكليزية بعد ان تُرجما احدى عشرة مرةً فجآءا على الصورة التي تراها معرَّبةً هنا قال الناظم الاول

نُبِّئتُ أنَّ فلان بعد منيّتي ... سيخطُّ ترجمتي جُعِلتُ لهُ فِدَى

فطربتُ حين سمعت ذاك تهللاً ... وهتفتُ واشوقي الى وِرد الرَدَى

وهذه صورة الترجمة الاخيرة وقد جُعل البيتان خطاباً وجواباً بين رجلٍ وامرأة

— سأُعيدُ ذكركِ يا مُنَى نفسي اذا ... ما متِّ حياً بالقريض مخلَّدا

— لوكنتَ تفعل ذاكَ في يومي لمَا ... شوّقتَ نفسي يا حبيبُ الى الرَدَى

ونحن نقترح على حضرات شعرآئنا المجيدين ان ينظموا في معنى هذه الابيات الاربعة لكن من غير هذا البحر لان تغيير البحر يقضي بتبديل اكثر الفاظها فيكون ذلك بمثابة ترجمةٍ اخرى لها . ونأمل ارسال ما تجود بهِ قرائحهم في العشر الأُوَل من الشهر الآتي لننشرهُ في الجزء الثالث ان شآء الله